

أَحَقًّا قَالَ اللَّهُ؟

المحاضرة ٥: الوحي، والعصمة، والخُلُو من الخطأ

أ.ز. بي. سنرول

كُلَّمَا أُثِيرَ مَوْضُوعُ سُلْطَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَخَاصَّ النَّاسِ فِي مُنَاقَشَاتِ حَوْلِهِ، يَدُورُ الْحَدِيثُ حَوْلَ ثَلَاثَةِ مَفَاهِيمَ مَحَوْرِيَّةٍ. هَذِهِ الْمَفَاهِيمُ، سَأَكْتُبُهَا عَلَى السَّبُورَةِ، ثُمَّ سَنَصْرُفُ بَعْضَ الْوَقْتِ فِي تَعْرِيفِهَا. وَهِيَ تَشْمَلُ مَفْهُومَ الْوَحْيِ، وَمَفْهُومَ الْعِصْمَةِ، وَمَفْهُومَ الْخُلُوِّ مِنَ الْخَطَأِ.

قَبْلَ الْإِسْتِفَاضَةِ فِي هَذِهِ الْمَفَاهِيمِ، أَوْدُ أَنْ تُفَكَّرُوا فِي أَعْمَاقِكُمْ. مَا رُدُّودُ فِعْلِكُمْ الشَّخْصِيَّةُ نَجَاهَ هَذِهِ الْمَفَاهِيمِ؟ فِيمَ تُفَكَّرُونَ حِينَ تَسْمَعُونَ كَلِمَةَ "وَحْيٍ"؟ وَمَا الَّذِي يَخْطُرُ بِبَالِكُمْ حِينَ تُفَكَّرُونَ فِي مُصْطَلَحِ "مَعْصُومٍ"؟ وَرَبَّمَا الْأَهْمُ مِنْ ذَلِكَ، كَيْفَ تَتَفَاعَلُونَ فِي أَعْمَاقِكُمْ مَعَ مُصْطَلَحِ "خَالٍ مِنَ الْخَطَأِ" أَوْ "الْخُلُوِّ مِنَ الْخَطَأِ"؟ أَطْرَحُ هَذِهِ الْأَسْئَلَةَ لِسَبَبٍ. فَهَنَّاكَ قَدْرٌ هَائِلٌ مِنَ الْمَشَاعِرِ الَّتِي تُفْسِدُ هَذِهِ الْمُصْطَلَحَاتِ جَمِيعَهَا. وَفِي عِلْمِ اللَّاهُوتِ، أَجِدُ صُعُوبَةً أحيانًا أَنْ يَتَجَاوَزَ النَّاسُ مَشَاعِرَهُمْ لِيَفْحَصُوا بِنِهَايَةِ مَضْمُونِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ.

فَمَثَلًا، فِي كَلِمَةِ اللَّاهُوتِ، حِينَ كَانَ أَحَدُهُمْ يَسْتَحْدِمُ مُصْطَلَحَ "الْخُلُوِّ مِنَ الْخَطَأِ" عَنِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، كَانَ هَذَا يَجْعَلُهُ فِي الْحَالِ أَصُولِيًّا، وَرَجَعِيًّا، وَجَاهِلًا تَمَامًا. فَيَكُونُ رَدُّ الْفِعْلِ الْمُعْتَادِ هُوَ: "كَيْفَ لِأَحَدٍ أَنْ يُؤْمِنَ بِخُلُوِّ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مِنَ الْخَطَأِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، بَعْدَ التَّحْلِيلِ الْأَكَادِيمِيِّ الْعَمِيقِ وَالتَّقْدِ الْعِلْمِيِّ بِمِثْقَلِ سَنَةٍ؟" إِذَا، يُشْبِهُ مُصْطَلَحَ "الْخُلُوِّ مِنَ الْخَطَأِ" كَلِمَةَ شِبُولْتِ، أَيْ إِنَّهُ صَارَ كَلِمَةً تُمَيِّزُ بَيْنَ الْفِكْرِ الْمُحَافِظِ وَعَكْسِهِ.

تَفَاقَمَ هَذَا الْوَضْعُ لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ فِي أَوَاخِرِ السَّبْعِينِيَّاتِ، تَكَوَّنَتْ مُنْظَمَةٌ فِي أَمْرِيكََا صَمَّتْ عُلَمَاءٌ مِنْ كُلِّ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ، الْمِائَاتِ فِي الْحَقِيقَةِ، تَحْتَ رِئَاسَةِ لَجْنَةٍ تَنْفِيدِيَّةٍ مِنْ خَمْسَةِ عَشَرَ أَوْ سِتَّةَ عَشَرَ عُضْوًا مِنْهُمْ، لِدِرَاسَةِ مَسْأَلَةِ سُلْطَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَوَحْيِهِ، وَعِصْمَتِهِ، وَخُلُوهُ مِنَ الْخَطَأِ. وَدُعِيَتْ هَذِهِ الْمُنْظَمَةُ "الْمَجْلِسَ الدَّوْلِيَّ لِلْعِصْمَةِ الْكِتَابِيَّةِ". وَكَرَّسَتْ نَفْسَهَا لَيْسَ فَقَطْ لِعَشْرِ سَنَوَاتٍ مِنَ الدِّرَاسَةِ، بَلْ أَيْضًا لِإِصْدَارِ مَنْشُورَاتٍ مِنْ مُخْتَلِفِ الْأَنْوَاعِ وَإِقَامَةِ عِدَّةِ مُؤْتَمَرَاتٍ. وَعَقِدَ أَوَّلَ اجْتِمَاعٍ قِمَّةٍ لِهَذِهِ الْمُنْظَمَةِ فِي شِيكَاغُو فِي عَامِ ١٩٧٨، حَيْثُ اجْتَمَعَ الْمِائَاتُ، وَبَحَثُوا وَنَاقَشُوا عِدَّةَ قَضَايَا مُتَعَلِّقَةٍ بِصِحَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. وَنَتَجَتْ عَنْ ذَلِكَ الْحَدِيثِ وَثِيقَةٌ تُحْوِي بَيَانًا مُوَحَّدًا عَنِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، ثُمَّ وَثِيقَةٌ أَطْوَلُ تُحْوِي نَحْوَ عِشْرِينَ تَصْرِيحًا بِالْإِيجَابِ وَالسَّلْبِ عَنِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. أَيْ تَعْرِيفَاتٍ دَقِيقَةً تَقُولُ: "نُؤَكِّدُ أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ كَدَا، وَكَدَا"، وَنُؤَكِّدُ أَنْ يَكُونَ كَدَا، وَكَدَا". حَتَّى يَتَّضِحَ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ مَوْقِفُهُمْ نَجَاهَ الْمَوْضُوعِ.

طَلِبَ مِنِّي كِتَابَةٌ تَعْلِيْقٌ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ، وَعَنْ تِلْكَ الْوَثِيْقَةِ مِنْ تَصْرِيْحَاتِ إِجْبَابِيَّةٍ وَسَلْبِيَّةٍ، يَكُونُ وَجِيْزًا، وَفِي مُتَنَاوَلِ الشَّخْصِ الْعَادِيِّ، حَتَّى يَقْرَأَهُ، وَيَتَعَلَّمَ عَنْ بَعْضِ تِلْكَ الْمَسَائِلِ الدَّقِيْقَةِ الْمُخْتَصَّةِ بِالْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. وَهَذِهِ الْمَوَارِدُ مُتَاحَةٌ دَائِمًا، بِعُنْوَانِ *Explaining Inerrancy, a Commentary*، بِقَلَمِ أَرْ. سِي. سَبْرُول، مَعَ مُقَدِّمَةٍ بِقَلَمِ د. رُوْدَجِيْر نِيْكُول. وَأَوْصِي بِهَا لِمَنْ يُحَاوِلُونَ التَّعَمُّقَ فِي تَعْقِيْدَاتِ هَذَا الْجَدَلِ. فَمُجَدِّدًا، حِيْنَ نَدْرُسُ مُصْطَلَحَ "الْحُلُوِّ مِنَ الْخَطَأِ"، وَكَيْفَ كَانَ يُسْتَخْدَمُ فِي تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ، نَحْدُهُ بَعِيْدًا كُلَّ الْبُعْدِ عَنْ ذَلِكَ الْمُصْطَلَحِ السَّلْبِيِّ الَّذِي سَمِعْتُهُ يَرُدُّ فِي اسْتِخْفَافٍ وَسُخْرِيَّةٍ حِيْنَ كُنْتُ فِي كَلِيَّةِ الْلاَهُوْتِ. وَسَأَتَطَرَّقُ إِلَى ذَلِكَ بَعْدَ قَلِيْلِ.

لِتَتَنَاوَلُ إِذَا هَذِهِ الْمَفَاهِيْمَ الثَّلَاثَةَ: الْوَحْيِ، وَالْعِصْمَةَ، وَالْحُلُوِّ مِنَ الْخَطَأِ. كَمَا ذَكَرْتُ سَابِقًا، حِيْنَ قَالَ بُولْسُ فِي رِسَالَةِ تِيْمُونَاوِسِ الثَّانِيَةِ إِنَّ كُلَّ الْكِتَابِ مُوحَى بِهِ مِنَ اللَّهِ -بِحَسَبِ تَرْجَمَةِ الْآيَةِ- ذَكَرْتُ أَنَّهُ يَجِبُ تَرْجَمَةُ الْكَلِمَةِ الَّتِي اسْتُخْدِمَهَا هُنَا إِلَى "زَفِيرٍ" وَلَيْسَ إِلَى "وَحْيٍ"، لِأَنَّهُ يَلْفِتُ الْإِنْتِبَاهَ إِلَى مَصْدَرٍ مُحتَوَى الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، لَا إِلَى الْوَسِيْلَةِ أَوْ الطَّرِيْقَةِ الَّتِي أُعْطِيَ بِهَا اللَّهُ، أَوْ قَادَ، أَوْ مَكَّنَ الْكُتَّابَ الْبَشَرِيِّينَ أَنْ يُصْبِحُوا أَدَوَاتٍ أَوْ وَسَائِظَ إِعْلَانِهِ الْإِلَهِيِّ. لَكِنَّ هَذَا مَا تَعْنِيهِ كَلِمَةُ "وَحْيٍ". فِي عِلْمِ الْلاَهُوْتِ، لَا يُشِيرُ مُصْطَلَحُ "وَحْيٍ" إِلَى شَخْصٍ مُوهَبٍ بِشَكْلِ اسْتِثْنَائِيٍّ، أَوْ حَكِيمٍ، أَوْ يَتَمَنَّعُ بِمَجَازِيْبِيَّةٍ سَاحِرَةٍ. كَمَا حِيْنَ نَسْمَعُ عَارِفًا يَعْرِفُ مُوسِيْقَى خَلَابَةٌ، وَحِيْنَ يَنْتَهِي نَقُولُ: "يَا لِلرَّوْعَةِ! كَانَ الْوَحْيُ نَارًا عَلَيَّ". لَسْنَا نَقْصِدُ بِذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ الْقَدِيرَ مَكَّنَهُ بِطَّرِيْقَةٍ فَائِقَةٍ لِلطَّبِيْعَةِ مِنَ الْعَرْفِ عَلَى آتِيهِ. مَعَ أَنَّنَا رُبَّمَا نَرَعِبُ فِي قَوْلِ ذَلِكَ عَنْ بَعْضِ عِبَاقِرَةِ الْعَرْفِ. لَكِنَّ لَيْسَ هَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ عِنْدَ اسْتِخْدَامِ الْكَلِمَةِ لِيُوصَفَ مُثَلًى، أَوْ لَاعِبٍ، أَوْ شَخْصٍ يُقَدِّمُ آدَاءً بَارِعًا. فَعِنْدَمَا نَتَحَدَّثُ عَنِ الْوَحْيِ فِي عِلْمِ الْلاَهُوْتِ، نَقْصِدُ عَمَلًا يَجْرِي بِمَعْنَوَةِ إِلَهِيَّةٍ فَائِقَةٍ لِلطَّبِيْعَةِ. أَوْ نَقْصِدُ مُصْطَلَحَ "الإِشْرَافِ"، حَيْثُ يُمَكِّنُ الْكُتَّابَ الْبَشَرِيِّينَ مِنْ أَنْ يَكُونُوا أَدَاءً لِإِعْلَانِ كَلِمَةِ اللَّهِ. هَذَا مَا نَقْصِدُهُ بِالْوَحْيِ.

فِي الْلاَهُوْتِ الْمَسِيْحِيِّ التَّقْلِيْدِيِّ، لَمْ تُحَدِّدِ الْكَنِيسَةُ بِدَقَّةٍ كَيْفِيَّةَ حَدُوثِ ذَلِكَ الْوَحْيِ، أَوْ طَّرِيْقَةَ الْوَحْيِ. وَمَا أَكْثَرَ سُوءَ الْفَهْمِ لِهَذَا الْأَمْرِ. الْبَعْضُ، حِيْنَ يَسْمَعُونَ كَلِمَةَ وَحْيٍ، أَوْ الْوَحْيِ اللَّفْظِيَّ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، تَخْطُرُ بِأَلْهَمٍ فِي الْحَالِ فِكْرُهُ أَنَّ الْكُتَّابَ الْبَشَرِيِّينَ، عِنْدَمَا شَرَعُوا فِي كِتَابَةِ إِنجِيلٍ لَوْحًا أَوْ إِنجِيلٍ يُوحَنَّا أَوْ غَيْرِهِمَا، كَانُوا فِعْلِيًّا آلَاتٍ. بِمَعْنَى أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى أَقْلَامِهِمْ بِطَّرِيْقَةٍ مُعْجَزِيَّةٍ، بِحَيْثُ تَجَاهَلُ، وَأَحْمَدُ، وَالغَى بَشَرِيَّةَ الْكُتَّابِ تَمَامًا. فَصَارَ قَلْمُهُ شَبِيْهًا بِلَوْحٍ وَجِيًّا. وَهَذَا مَا قَدْ نُسَمِّيهِ بِالْكِتَابَةِ الْآلِيَّةِ، حَيْثُ سَلِبَ الْكُتَّابُ الْبَشَرِيُّونَ مِنْ بَشَرِيَّتِهِ فِي هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ، وَأَصْبَحَ آلَةٌ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ. هَذِهِ النُّظْرَةُ عَنِ الْوَحْيِ تُسَمَّى، إِذَا، الْوَحْيِ الْآلِيَّ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْكُتَّابَ الْبَشَرِيِّينَ اخْتَزَلُوا إِلَى آلَةٍ. لَا أَعْلَمُ كَمْ مَرَّةً سَمِعْتُ أَنَّاسًا يَقُولُونَ لِي: "لَا أُوْمِنُ بِالْوَحْيِ اللَّفْظِيِّ، أَيُّ بِالرَّأْيِ الْمُحَافِظِ، لِأَنِّي لَا أَطُنُّ أَنَّ اللَّهَ اخْتَزَلَ الْبَشَرَ إِلَى دُئِي، وَجَعَلَهُمْ آلَاتٍ". وَأَحْيَانًا يَنْقُدُ صَبْرِي، وَأَرَعِبُ فِي أَنْ أَقُولَ: "هَلْ قَرَأْتُمْ شَيْئًا عَنْ ذَلِكَ فِي تَارِيخِ

الأدب المسيحي؟ فطوال قرون، هؤلاء اللاهوتيون المسيحيون، الذين قدموا رأي الوحي اللفظي، حرصوا بشدة على توضيح أن ما لم يقصدوه قطعاً بالإشراف الإلهي هو الوحي الآلي".

هناك نظرية أخرى يرفضها الفكر المحافظ، فيما يتعلق بالوحي اللفظي، وتسمى نظرية الإملاء. مجدداً، إن سمعتم مصطلح "الوحي"، فربما تظنون أن ما يعنيه الوحي، أو ما يوحي به لكم، هو أنه بينما كان لوقا جالساً يكتب المخطوطة، ويجهز لفيقة إنجيله، كان الله يُملي في أذنه ما يجب أن يدونه، كما حين أرفع سماعة الهاتف وأتصل بمكثتي، وبسكرتيري، لأقول: "هل يمكنك أن تدوني ما سأقول وتبعني بهذه الرسالة؟" فأُملي عليها ما يجب أن تكتبه، كلمة بكلمة، فتكتبه وترسل الخطاب حاملاً توقيعِي، وأحرف اسمها الأولى. فهي فعلياً الكاتبة، لكنّها ليست المؤلفة، لأن كل ما فعلته هو تدوين ما أمليته عليّ. فهي كَمَا تِي بقلمها.

عندما أقول إن الفكر المحافظ لا يؤيد الوحي الإملائي، فإنني أقول ذلك بحذر، لأنه في مجمع ترنت، مثلاً، في الجلسة الرابعة التي أشرت إليها قبلاً، استخدمت الكنيسة الكاثوليكية هذا المصطلح عن الكتاب المقدس "ديكتانتي" (dictante). في وصفها للأصل الإلهي للكتاب المقدس. قالت الكنيسة الكاثوليكية إن الكتاب المقدس جاء نتيجة "ديكتانتي" الروح القدس، أي "إملاء" الروح القدس. ها هي الكلمة. وإن أراد أحد إلقاء اللوم على نظرية الوحي الإملائي، فهذا دليل تاريخي على أن أحدهم، بشكل ما، كان يشغل منصباً بارزاً في مجمع من أهم مجامع الكنيسة الكاثوليكية، استخدم المصطلح. لكن مع أن مصطلح "إملاء" استخدم في ترنت، لم يكن همس الله بالكلمات ليكتب بشري، أو إملاًؤها بصوت عالٍ، هو المقصود بالمصطلح، حتى في ترنت. بل المقصود هو: "أجل، هناك تشابه بين الكتاب البشريين والسكرتير البشري". كالفن، مثلاً، قال إن كتاب الأسفار كانوا أشبه بالناسخين، وهي كلمة عتيقة الطراز تعني سكرتيراً. فقد كانوا أشبه بسكرتيري الله، لكن دون تجاهل أسلوبهم الفريد، ومفرداتهم. ولم تستكمل الكنيسة توضيحها لطريقة الوحي بدقة.

المفهوم الثاني، وهو العصمة، شغل بالي كثيراً. مجدداً، أتذكر أيام كلية اللاهوت، حيث كان يبدى رد فعل عدائي تجاه كلمة "الخطأ" من الخطأ، في حين لم ينشأ هذا النوع نفسه من الاحتجاج العنيف ضد كلمة "العصمة". في الواقع، سمعت عن مؤسسه ما أرادت تلطيف عقيدتها عن الكتاب المقدس ليتوافق مع أشكال معينة من النقد، وكان بيانها القديم عن العقيدة يقول إنهم يؤمنون بحلّو الكتاب المقدس من الخطأ. فغيروا ذلك قائلين إنهم يؤمنون بعصمة الكتاب المقدس. فكروا في ذلك. فقد كانوا يؤمنون بأن الكتاب المقدس حال من الخطأ، أي بلا أخطاء، والآن، لم يعودوا يؤمنون بذلك، بل صاروا يؤمنون بأن الكتاب المقدس معصوم. فقد حاولوا عمداً تقديم بيان

أَقَلَّ حِدَّةٍ. لَكِنْ مِنْ حَيْثُ مَعْنَى الْكَلِمَاتِ، أَيُّهَا السَّيِّدَاتُ وَالسَّادَةُ، هُمْ جَعَلُوهُ أَكْثَرَ تَشَدُّدًا، لِأَنَّ كَلِمَةَ مَعْصُومٍ تَعْنِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُخْفِقَ، أَيُّ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَرْتَكِبَ خَطَأً، فِي حِينِ "الْخُلُوءِ مِنَ الْخَطَأِ" يَعْنِي فَقَطْ أَنَّهُ لَا يَرْتَكِبُ خَطَأً.

هَلْ يُمَكِّنُ لِلبَشَرِ، دُونَ مُسَاعَدَةِ الْإِشْرَافِ الْإِلَهِيِّ، وَدُونَ مُسَاعَدَةِ اللَّهِ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ، أَنْ يَفْعَلُوا شَيْئًا دُونَ أَنْ يُخْطِئُوا؟ دَعَوْنِي أَكْرَرُ كَلَامِي: "هَلْ يُمَكِّنُ لِإِنْسَانٍ، دُونَ آيَةِ مُسَاعَدَةٍ خَاصَّةٍ مِنَ اللَّهِ، أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا بِلَا أخطاءٍ؟" رَبِّمَا يَكُونُ أَوَّلَ رَدِّ عَرِيضِي هُوَ: "كَلَّا، فَنَحْنُ مُمْتَلِئُونَ بِالْأخطاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ". لَكِنْ حَاوِلُوا أَنْ تَتَدَكَّرُوا. هَلْ خَضَعْتُمْ قَبْلًا لِاخْتِبَارِ إِمْلَاءٍ فِي الْمَدْرَسَةِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ وَحَصَلْتُمْ عَلَى الدَّرَجَةِ الْنِهَائِيَّةِ؟ هَلْ خَضَعْتُمْ قَبْلًا لِاخْتِبَارِ رِياضِيَّاتٍ حَيْثُ كَانَ عَلَيْكُمْ حُلٌّ عَشْرٍ مَسَائِلٍ فَكَانَتْ جَمِيعُهَا صَحِيحَةً؟ وَحَصَلْتُمْ عَلَى الدَّرَجَةِ الْنِهَائِيَّةِ؟ لَدَيْ طَالِبٍ فِي فَصْلِ اللَّاهُوتِ يَحْضُلُ عَلَى الدَّرَجَةِ الْنِهَائِيَّةِ مَهْمَا صَعِبَتْ مِنَ الْأَسْئَلَةِ. حَتَّى إِنِّي أَكُونُ ظَالِمًا إِذَا حَدَفْتُ لَهُ دَرَجَةً. وَلَنْ أَكُونَ مُنْصَفًا. فَهُوَ يَحْضُلُ عَلَى الدَّرَجَةِ الْنِهَائِيَّةِ، أَيُّ إِنَّهُ خَالَ مِنَ الْخَطَأِ. لَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ مَعْصُومًا. فَخُلُوءُهُ مِنَ الْخَطَأِ مُوقَّتٌ. فَبِوَسْعِي كِتَابَةَ قَائِمَةٍ بِالْمُسْتَرِيَّاتِ خَالِيَةً مِنَ الْأخطاءِ. فَإِنْ أَرَدْتُمْ مَعْرِفَةَ السِّلْعِ الثَّلَاثِ الَّتِي نَحْتَاجُ إِلَى شِرَائِهَا مِنَ الْمَتَجَرِّ، فَقُلْتُمْ: "نَحْتَاجُ إِلَى خُبْزٍ وَجُبْنٍ وَمِلْحٍ"، فَكَتَبْتُ: "خُبْزًا، وَجُبْنًا، وَمِلْحًا". أَكُونُ قَدْ أَصَبْتُ، بِلَا أخطاءٍ، أَيُّ أَكُونُ خَالِيًا مِنَ الْخَطَأِ. لَا يَتَطَلَّبُ فِعْلُ ذَلِكَ مَعُونَةً خَاصَّةً مِنَ اللَّهِ. لَكِنْ حِينَ قَالَ كَارُلُ بَارْتِ إِنَّ الْخَطَأَ مِنْ شِيمِ الْبَشَرِ، كَانَ يُدْرِكُ أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ لَيْسَ قَائِمَةً بِالْمُسْتَرِيَّاتِ تَحْوِي ثَلَاثَ سِلْعٍ، أَوْ اخْتِبَارَ تَهْجِيَّةٍ مِنْ عَشْرَةِ أسْئَلَةٍ، لَكِنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِسِتَّةٍ وَسِتِّينَ سِفْرًا مَكْتُوبِينَ عِبْرَ مِئَاتِ السَّنَوَاتِ، عَنْ سِتِّي الْمَوْضُوعَاتِ التَّارِيخِيَّةِ، وَالْأَخْلَاقِيَّةِ، وَاللَّاهُوتِيَّةِ. وَفِي صَوِّهِ اتَّسَاعَ نِطاقِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، إِذَا تُرِكَ الْبَشَرُ لِأَنْفُسِهِمْ دُونَ مُسَاعَدَةِ خَاصَّةٍ مِنَ اللَّهِ، فَسَاكُونُ آخِرَ إِنْسَانٍ فِي الْعَالَمِ يَفْتَرِضُ أَنَّ سَنَحْضُلُ عَلَى عَمَلٍ خَالَ مِنَ الْخَطَأِ.

لَكِنِّي أَقُولُ إِنَّ الْخُلُوءَ مِنَ الْخَطَأِ أَخْفَ مِنَ الْعِصْمَةِ. فَالْحَالِي مِنَ الْخَطَأِ هُوَ شَخْصٌ لَا يُخْطِئُ، أَمَّا الْمَعْصُومُ فَهُوَ شَخْصٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْطِئُ. يُمَكِّنُ أَنْ أَكُونَ خَالِيًا مِنَ الْخَطَأِ مُوقَّتًا، لَكِنِّي لَمْ أَكُنْ مَعْصُومًا قَطُّ، وَلَوْ لِحَمْسِ ثَوَانٍ. لَكِنْ لِمَاذَا إِذْ يُحَاوِلُ الْبَعْضُ التَّخْفِيفَ مِنَ "الْخُلُوءِ مِنَ الْخَطَأِ" يَسْتَخْدِمُونَ كَلِمَةَ مَعْصُومٍ؟ هُنَاكَ سَبَبَانِ: أَوَّلًا، لَا يَحْمِلُ الْمِصْطَلَحُ "مَعْصُومٌ" كُلَّ الدَّلَالَاتِ السَّلْبِيَّةِ الْمُقْتَرِنَةِ بِمِصْطَلَحِ "الْخُلُوءِ مِنَ الْخَطَأِ".

أَتَدَكَّرُ حِينَ اجْتَمَعَ الْمَجْلِسُ الدَّوْلِيُّ لِلْعِصْمَةِ الْكِتَابِيَّةِ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى، نَاقَشَ الْمَجْلِسُ التَّنْفِيزِيَّ هَذَا السُّؤَالَ: "كَيْفَ يَجِبُ أَنْ نَعْرِفَ هَذِهِ الْمُنْظَمَةَ؟ هَلْ نَعْرِفُ أَنْفُسَنَا بِأَنَّنا لَاهُوتِيُونَ مُهْتَمُونَ بِنَشْرِ مَفْهُومِ الْخُلُوءِ مِنَ الْخَطَأِ؟" وَأَتَدَكَّرُ أَنِّي عَبَّرْتُ آنَ ذَاكَ عَنِ اعْتِقَادِي بِأَنَّ "الْخُلُوءَ مِنَ الْخَطَأِ" مُصْطَلَحٌ غَيْرُ اسْتِرَاطِيغِيٍّ. فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَحَرَّى الدِّقَّةَ فِي تَعْرِيفِهِ لِتَجَنُّبِ كُلِّ الْمَفَاهِيمِ الْمَغْلُوطَةِ عَنْهُ. وَهُنَاكَ عَدَاءٌ وَاسِعُ النِّطاقِ لِلْمِصْطَلَحِ. أَلَا يُمَكِّنُنَا الْبَحْثُ عَنْ كَلِمَةٍ أَفْضَلَ غَيْرَ مُزَعَّجَةٍ إِلَى هَذَا الْحَدِّ، يُمَكِّنُنَا فَهْمَهَا بِوُضُوحٍ؟ فَلَا تَهْمُنَا الْمِصْطَلَحَاتُ كَالْخُلُوءِ مِنَ الْخَطَأِ، أَوْ الْعِصْمَةِ، بَلْ يَهْمُنَا صِدْقُ الْكِتَابِ

الْمُقَدَّسِ. وَأَنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ صَادِقَةٌ وَجَدِيرَةٌ بِالْحَقِّقَةِ، هَذَا مُحُورُ اهْتِمَامِنَا. وَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ صَادِقَةً وَجَدِيرَةً بِالْحَقِّقَةِ إِذَا لَمْ تَكُنْ خَالِيَةً مِنَ الْخُطَا؟ فَلَوْ كَانَتْ بِهَا أَخْطَاءٌ، فَهِيَ لَيْسَتْ صَادِقَةً تَمَامًا. وَلَوْ كَانَتْ بِهَا أَخْطَاءٌ، فَهِيَ غَيْرُ جَدِيرَةٍ بِالْحَقِّقَةِ تَمَامًا. لَكِنِ أَقُولُ إِنَّنَا بِحَاجَةٍ إِلَى كَلِمَةٍ أَكْثَرَ حَيَادِيَّةً. وَذَكَرْتُ أَنَّهَا أَشْبَهُ بِكَلِمَةِ شِبُولْت. قَالَ جِي. أَي. باكِر (J. I Packer)، بِأَسْلُوبِهِ الْفَرِيدِ، وَبِكُلِّ تَأَنٍّ وَهُدُوءٍ، فِي لَهَجَتِهِ الْبَرِيْطَانِيَّةِ: "أَفْضَلُ مُصْطَلَحِ الْخُلُوءِ مِنَ الْخُطَا تَحْدِيدًا لِأَنَّهُ مِثْلُ شِبُولْت". سَأَلْتُهُ: "مَاذَا تَقْصِدُ؟" أَجَابَ: "فِي زَمَنِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، أَصْبَحَتْ كَلِمَةُ شِبُولْت مِثْلَ كَلِمَةِ مُرُورٍ. فَفِي الْحَرْبِ، إِذَا حَاوَلَ جَاسُوسٌ التَّسَلُّلَ إِلَى الْمُعَسْكَرِ الْيَهُودِيِّ مُتَّظَاهِرًا بِأَنَّهُ يَهُودِيٌّ، كُلُّ مَا كَانَ عَلَى الْحَارِسِ فِعْلُهُ هُوَ أَنْ يَقُولَ: "أَعْطِنِي كَلِمَةَ الْمُرُورِ، فُلْ شِبُولْت"، وَكُلُّ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا كَانَ يَعْجِزُ عَنِ نُطْقِ شِبُولْت، وَيَتَلَعَثُ فِي الْكَلِمَةِ. وَفَقَطِ الْيَهُودِيُّ الْحَقِيقِيُّ أَمَكَّنَهُ لَفْظَهَا".

أَتَذَكَّرُ حِينَ كُنْتُ أَعِيشُ فِي هَوْلَنْدَا، كَانَ لَدَى الْهَوْلَنْدِيِّينَ اخْتِبَارُ "شِبُولْت" الْخَاصُّ بِهِمْ، خِلَالَ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَّةِ، لِمَنْعِ الْأَلْمَانِ مِنَ التَّسَلُّلِ إِلَى أَمَاكِنَ لَمْ يَكُنْ مَسْمُوحًا لَهُمْ بِدُخُولِهَا. كَانَتْ لَدَيْهِمْ مَدِينَةٌ سَاحِلِيَّةٌ صَغِيرَةٌ تُدْعَى "شَخَافِينِيْجِن" (Schaveningen). وَلِتَقُولَ "شَخَافِينِيْجِن"، عَلَيْكَ إِمَّا أَنْ تَكُونَ هَوْلَنْدِيًّا، أَوْ أَنْ تُعَانِي مِنَ احْتِقَانٍ بِالْأَنْفِ. وَلَمْ يَتَمَكَّنِ الْأَلْمَانُ قَطُّ مِنْ نُطْقِ كَلِمَةِ "شَخَافِينِيْجِن". أَتَسْمَعُونَ هَذَا؟ "شَخَافِينِيْجِن". فَقَدْ عَجَزُوا عَنِ نُطْقِهَا. وَهَكَذَا كَانُوا يَكْشِفُونَ هُويَّتَهُمْ.

وَقَالَ بَاكِرُ: "جَمِيعُ إِقْرَارَاتِ الْإِيْمَانِ الْمَكْتُوبَةِ، اسْتَطَاعَ أَحَدُهُمْ فِي عَدَمِ أَمَانَةٍ إِعَادَةَ تَعْرِيفِ مُصْطَلَحَاتِهَا كَيْ تُنَاسِبَهُ، مُسْتَخْدِمًا مُصْطَلَحَاتٍ كَمَا لَمْ تُسْتَخْدَمْ مِنْ قَبْلُ". هَذِهِ عَدَمُ أَمَانَةٍ بَحْتَّةٍ، وَبُؤْسُفِي أَنْ أَقُولَ إِنَّ هَذَا يَجِدُثُ يَوْمِيًّا فِي مَجَالِ اللَّاهُوتِ. ثُمَّ قَالَ: "لَكِنِ يَقِفُ النَّاسُ عَاجِزِينَ أَمَامَ مُصْطَلَحِ الْخُلُوءِ مِنَ الْخُطَا". فَلَنْ يَقُولَ أَحَدٌ إِنَّهُ يُؤْمِنُ بِالْخُلُوءِ مِنَ الْخُطَا مَا لَمْ يَكُنْ يُؤْمِنُ بِهِ بِالْفِعْلِ. فَلِمَ نُنِيحُ لَهُمْ فُرْصَةً سَهْلَةً لِلْعِشِّ؟ فَكُلُّ لَاهُوتِيٍّ يَعْرِفُ مَا يَعْنِيهِ الْخُلُوءُ مِنَ الْخُطَا وَمَا لَا يَعْنِيهِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ مُعَبَّرَةٌ، وَمُهَمَّةٌ جِدًّا، وَصَالِحَةٌ تَارِيخِيًّا، فَدَعُونَا نَتَمَسَّكُ بِهَا". أَفْتَعْنِي ذَلِكَ. فَقُلْتُ: "أَحْيِيكَ عَلَى شَجَاعَتِكَ". لَكِنِّي سَأَكُونُ مَرِنًا، لَا لِرَغْبَتِي فِي التَّخْفِيفِ مِنْ حِدَّةِ الرَّأْيِ، بَلْ لِلْحِفَاطِ عَلَى الْعَلَاقَاتِ. فَالْلاهُوتِيُّونَ قَدْ يُعَيِّرُونَ رَأْيَهُمْ أَحْيَانًا بِشَأْنِ مَسَائِلٍ مُعَيَّنَةٍ، لَا لِإِفْتِنَاعِهِمْ بِخُطْبَتِهَا، وَإِنَّمَا لِأَنَّهَا أَصْبَحَتْ عَائِقًا كَادِيمِيًّا.

يُغِضُ اللَّيْبَرَالِيُّونَ مُصْطَلَحَ "الْخُلُوءِ مِنَ الْخُطَا". وَسَيَقُولُونَ إِنَّكَ لَسْتَ أَكَادِيمِيًّا، أَوْ فِطْنًا، أَوْ عِلْمِيًّا، إِنْ قَبِلْتَ بِمُصْطَلَحِ كَهَذَا. وَإِنْ لَمْ تَكُنْ رَاسِحًا فِي مَعْرِفَتِكَ أَوْ فَهْمِكَ، فَرَبِّمَا تَحْشَى حَوْضَ مُنَاقَشَةٍ. أَظُنُّ أَنَّ هَذَا أَحَدُ أَسْبَابِ تَغْيِيرِ الْبَعْضِ لِلْمُصْطَلَحِ مِنَ الْخُلُوءِ مِنَ الْخُطَا إِلَى الْعِصْمَةِ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ مَعَ أَنَّ مُصْطَلَحَ الْعِصْمَةِ أَقْوَى فِعْلِيًّا مِنَ الْخُلُوءِ مِنَ الْخُطَا، لَكِنَّهُ غَيْرُ مُفْتَرِنٍ بِكُلِّ هَذِهِ الْأَحْكَامِ الْمُسَبِّقَةِ. لِمَاذَا؟ أَيْنَ نَسْمَعُ عَادَةً كَلِمَةَ "مَعْصُومٌ" أَوْ "عِصْمَةٌ"؟ لَيْسَ لَوْصِفِ الْمَحْفَلِ الْعَامِّ لِلْكَنِيسَةِ الْمَشِيخِيَّةِ فِي أَمْرِيكَا، أَوْ لَوْصِفِ وَعِظِ الرَّايِعِيِّ الْمَعْمَدَانِيِّ الْمَحَلِّيِّ. فَلَا أَحَدٌ يَدَّعِي أَنَّهُ مَعْصُومٌ.

بَلْ مَفْهُومُ "العِصْمَةِ" مُفْتَرَنٌ تَارِيخِيًّا بِمَاذَا؟ بِمُؤَسَّسَةِ الكَنِيسَةِ الكَاثُولِيكِيَّةِ. نَسْمَعُ عَن عِصْمَةِ الكَنِيسَةِ، وَعِصْمَةِ البَابَوِيَّةِ، الَّتِي عَرَفَهَا البَابَا يَبُوسُ التَّاسِعُ فِي عَامِ ١٨٧٠. وَهِيَ عَقِيدَةٌ دَافَعٌ عَنْهَا، مَثَلًا، اللّاهُوتِيُّونَ اليَسُوعِيُّونَ. وَبَعْضُ النَّظَرِ عَن رَأْيِكُمْ فِي اللّاهُوتِيِّينَ اليَسُوعِيِّينَ وَالكَاثُولِيكِيِّينَ، قَلَّمَا يَقُولُ أَحَدُهُمْ إِنَّهُمْ أَغْيَاءٌ. لَمْ يَتَّهَمُوا أَحَدًا اليَسُوعِيِّينَ بِالغَبَاءِ أَوْ بِالدُّونِيَّةِ الفِكْرِيَّةِ. يَرْتَعِدُ اللِّيبراليُّونَ الرُّوتِسْتَانْتِيُّونَ حِينَ يُضْطَرُّونَ لِمُنَاطَرَةِ يَسُوعِيٍّ. إِذَا، يَتَمَتَّعُ مُصْطَلَحُ "العِصْمَةِ" بِالدَّعْمِ الثَّقَافِيِّ مِنَ المِصْدَاقِيَّةِ الفِكْرِيَّةِ لِلعَالَمِ الأَكَادِيمِيِّ الكَاثُولِيكِيِّ. أَتَفْهَمُونَ مَا أَفْصَدُهُ؟ لَكِنَّ مِنْ جِهَةٍ مَعْنَاهُ الفِعْلِيُّ، فَهُوَ مُصْطَلَحٌ أَقْوَى دَلَالَةً مِنْ "الخُلُوءِ مِنَ الخَطَأِ".

أَخِيرًا، وَقَبْلَ أَنْ أُحْتَمِمَ جُزْءَ التَّعْرِيفَاتِ هَذَا، أَقُولُ إِنَّ مُشْكِلَةَ "الخُلُوءِ مِنَ الخَطَأِ" الأُخْرَى هِيَ أَنَّهُ يَجِبُ تَعْرِيفُ المُصْطَلَحِ بِدِقَّةٍ. فَهُوَ لَا يَعْني عَدَمَ وُجُودِ أخطاءٍ لُغَوِيَّةٍ فِي الكِتَابِ المُقَدَّسِ. وَلَا يَعْني أَنَّ الكِتَابَ المُقَدَّسَ دَقِيقٌ عِلْمِيًّا بِصُورَةٍ مُطْلَقَةٍ. يَعْني "الخُلُوءُ مِنَ الخَطَأِ" عَدَمَ وُجُودِ أخطاءٍ فِي الحَقِّ - وَلَا خِدَاعٍ، وَلَا تَزْيِيفٍ، وَلَا كَذِبٍ. لَكِنَّ مِنَ المَسْمُوحِ، مَثَلًا، اسْتِخْدَامِ أَعْدَادٍ تَقْرِيبِيَّةٍ. يَقُولُ الكِتَابُ المُقَدَّسُ إِنَّ يَسُوعَ أَشْبَعَ خَمْسَةَ آلاَفِ شَخْصٍ، لَكِنَّ رَبَّمَا كَانَ العَدَدُ ٤٩٧٨ فَفَقَط. لَكِنَّنَا لَنْ نَعْتَبِرَ تَقْرِيرًا عَن حَدَثٍ تَارِيخِيٍّ، بِهِ تَقْرِيبٌ لِلأَعْدَادِ هَكَذَا، عَلَيَّ أَنَّهُ خَطَأٌ.

اعْتَرَضَ أَحَدُهُمْ عَلَيَّ "الخُلُوءُ مِنَ الخَطَأِ" لِأَنَّ يَسُوعَ قَالَ إِنَّهُ إِنْ كَانَ لَدَيْكَ إِيمَانٌ مِثْلَ حَبَّةِ خَرْدَلٍ، سَتَقْدِرُ أَنْ تَقُولَ لِهَذَا الجَبَلِ انْتَقِلْ، إِلَى آخِرِهِ. قَالَ يَسُوعُ إِنَّ حَبَّةَ الخَرْدَلِ هِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ البِدَارِ. وَيَقُولُ البَعْضُ: "مَهَلًا، هُنَاكَ بَدَارٌ أَصْغَرُ مِنْ حَبَّةِ الخَرْدَلِ". هَلْ هُنَاكَ مَجَالٌ فِي الحَقِّ لِلإسْتِخْدَامِ الأَدْبِيِّ المَشْرُوعِ، مَثَلًا، لِصِيعَةِ المُبَالِغَةِ؟ فَحِينَ دَخَلَ يَسُوعُ مَدِينَةَ مَا، قَالَ كَاتِبُ الإِنْجِيلِ إِنَّ كَفَرْنَا حُومَ كُلِّهَا خَرَجَتْ لِلإسْتِخْدَامِ إِلَيْهِ. هَلْ هَذَا اسْتِخْدَامٌ مَشْرُوعٌ لِصِيعَةِ المُبَالِغَةِ؟ أَمْ يَجِبُ أَنْ نُصِرَّ عَلَيَّ أَنَّ كُلَّ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ وَطِفْلٍ، وَكُلَّ شَخْصٍ مَرِيضٍ أَوْ بِصِحَّةٍ جَيِّدَةٍ، خَرَجَ حَقًّا مِنْ مَنْزِلِهِ وَذَهَبَ لِلإسْتِخْدَامِ إِلَى يَسُوعَ؟ مِنَ الواضِحِ أَنَّ الكَاتِبَ لَمْ يَقْصِدْ بِهَذَا أَنَّ جَمِيعَ مَنْ بِالمَدِينَةِ خَرَجُوا. لَكِنَّهُ اسْتِخْدَمَ الصِّيعَةَ الأَدْبِيَّةَ المُعْتَادَةَ لِثِقَلِ الحَقِّ.

هَذَا هُوَ المَفْهُومُ الكِتَابِيُّ عَنِ الحَقِّ. وَكُلُّ مَا أَصَرَ عَلَيْهِ الفِكْرُ المُحَافِظُ هُوَ أَنَّ الكِتَابَ المُقَدَّسَ، فِي كُلِّ صَفْحَةٍ وَكَلِمَةٍ مِنْهُ، مُتَوَافِقٌ تَمَامًا وَبِالكَامِلِ مَعَ تَعْرِيفِ الكِتَابِ المُقَدَّسِ نَفْسِهِ لِالحَقِّ.

فَالكِتَابُ المُقَدَّسُ مُوَحَّى بِهِ، وَمَعْصُومٌ. دَعُونِي أَصْبِغُ ذَلِكَ بِشَكْلِ آخَرَ. هُوَ مُوَحَّى بِهِ، إِذَا، هُوَ مَعْصُومٌ. وَهُوَ مَعْصُومٌ، إِذَا، هُوَ خَالٍ مِنَ الخَطَأِ. وَهُوَ خَالٍ مِنَ الخَطَأِ، إِذَا، هُوَ صَادِقٌ وَجَدِيرٌ بِالحَقَّةِ تَمَامًا.

الدكتور آر. سي. سبرول هو مؤسس هيئة خدمات ليجونير، وكان أحد رعاة كنيسة القديس أندرو (St. Andrews Chapel) في مدينة ساتفورد بولاية فلوريدا، كما كان أول رئيس لكلية الكتاب المقدس للإصلاح (Reformation Bible College). وهو مؤلف أكثر من مائة كتاب، بما في ذلك "كلنا لاهوتيون" و"أدهسني الألم".